الاختيارات اللسانية في الشعر العربي المعاصر قصيدة أحزان في الأندلس أنموذجا

حنان كرميش*[1]
[1] جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)

ملخص: الشعراء مبدعون فهم وحدهم القادرون على صنع قلائد لغوية مرصعة بجواهر البيان، ومليئة بأسرار الكلام، و كغيره من شعراء عصره ،وسابقية ألبس "**نزار قباني**" قصائده حللا جميلة ،وجليلة جعلته محط عناية الكثير من الدراسات التي انكبت عليه محاولة سبر أغواره ،وأغوار ما يقول ،والأسلوبية إحدى هذه الدراسات التي وجدت لهذا الغرض ،فارتأينا أن نجعلها مفتاحا نلج من خلاله قصيدته الموسومة بـــ "**أحزان في الأندلس**" محللين ،ودارسين .

الكلمات المفتاحية:الأسلوبية ؛الاختيارات اللسانية ؛ الايقاع ؛ التركيب ؛ الرثاء.

Abstract:

Poets are Creators Because they are written Beautiful poems. And Like the Other Poets Nizar Qabbani wrote very beautiful poems AS "ahzan fi alaindils" These poems Which We will try AnalyzedBy Stylistics To find out the Linguistic choices of the poet.

the key words: Stylistics ; linguistic choices; rhythm ; composition ; Lamentations.

*kermichehanane24@gmail.com

مقدمة

لقد تناولت العديد من الدراسات، والأبحاث النقدية قصائد نزار قباني بالبحث، والتحليل والنقد حتى أصبح محور اهتمام الكثير من الأدباء، والدارسين على اختلاف ميادينهم ، وتنوع مشاربهم، فـ "**نزار قباني**" ذلك الكتاب المفتوح من الحب، والهوى، والمشاعر الفياضة النابضة في كل لفظ من ألفاظ قصائده يستهوي كل دارس، ولقصيدته "**أحزان في الأندلس**" وضعاً خاصاً في نسق حروفها وألفاظها، وفي تركيب جملها وأساليبها، كما ولها وضعها الأسلوبي في المعنى والدلالة، وتنظيم الكلمات، وترتيب المستوى الايقاعي، والتركيبي، و الفني البلاغي ما يجعلها محط عناية، واهتمام كبيرين لما لا وهي الفريدة التي عبرت عن أحزان الشاعر لفقدان محبوبته ومحبوبة العرب "الاندلس"

_ فهل وفق "**نزار قباني**" في اختياراته اللسانية فإذا كان الأمر كذلك فما هي أهم الخيارات اللسانية التي اعتمدها ،وهل حقق غرضه المنشود من ورائها .

الشاعر في سطـــور :

نزار قبـــــاني: دبلوماسي، و شاعر عربي ولد في دمشق (سوريا) عام 1923 من عائلة دمشقية عريقة هي أسرة قباني ، حصل على البكالوريا من مدرسة الكلية العلمية الوطنية بدمشق ، ثم التحق بكلية الحقوق بالجامعة السورية وتخرّج فيها عام1945 (https://www.nizarqabbani.net/about).

يقول نزار قباني عن نشأته: "**ولدت في دمشق في آذار (مارس) 1923 في بيت وسيع،كثير الماء والزهر، من منازل دمشق القديمة، والدي توفيق القباني، تاجر وجيه في حيه، عمل في الحركة الوطنية ووهب حياته وماله لها. تميز أبي بحساسية نادرة وبحبه للشعر ولكل ما هو جميل. ورث الحس الفني المرهف بدوره عن عمه أبي خليل القباني الشاعر والمؤلف والملحن والممثل وبادر أول بذرة في نهضة المسرح المصري. امتازت طفولتي بحب عجيب للاكتشاف وتفكيك الأشياء وردها إلى أجزائها ومطاردة الأشكال النادرة وتحطيم الجميل من الألعاب بحثا عن المجهول الأجمل. عنيت في بداية حياتي بالرسم، فمن الخامسة إلى الثانية عشرة من عمري كنت أعيش في بحر من الألوان. أرسم على الأرض وعلى الجدران وألطخ كل ما تقع عليه يدي بحثا عن أشكال جديدة. ثم انتقلت بعدها إلى الموسيقى ولكن مشاكل الدراسة الثانوية أبعدتني عن هذه الهواية**"(https://www.nizarqabbani.net/about)

بدأ أولاً بكتابة الشعر التقليدي، ثم انتقل إلى الشعر العمودي، وساهم في تطوير الشعر العربي الحديث إلى حد كبير. يعتبر نزار مؤسس مدرسة شعرية و فكرية، تناولت دواوينه الأربعة الأولى قصائد رومانسية. وكان ديوان "قصائد من نزار قباني" الصادر عام 1956 نقطة تحول في شعر نزار، حيث تضمن هذا الديوان قصيدة "خبز وحشيش وقمر" التي انتقدت بشكل لاذع خمول المجتمع العربي. وأثارت ضده عاصفة شديدة حتى طالب رجال

الدين في سوريا بطرده من الخارجية وفصله من العمل الدبلوماسي. تميز قباني أيضاً بنقده السياسي القوي، من أشهر قصائده السياسية "هوامش على دفتر النكسة" 1967 التي تناولت هزيمة العرب على أيدي إسرائيل في نكسة حزيران. من أهم أعماله "حبيبتي" (1961)، "الرسم بالكلمات" (1966) وقصائد حب عربية1993"(https://www.nizarqabbani.net/about)

ولنزار العديد من الكتب النثرية منها "قصتي مع الشعر"، و " ما هو الشعر"(محمد الزينو سلوم، ص 20).

وافته المنية في لندن يوم 1998/4/30 عن عمر يناهز (75 عاما) قضى منها أكثر من 50 عاماً في الحب، والسياسة، والثورة. (https://www.nizarqabbani.net/about)

غرض الرثاء قالب القصيدة

لم تخلوا قصائد العصر الحديث من ذكر الأندلس بل كانت حاضرة، وبقوة في كل لفظة من ألفاظ القصائد الحديثة بل، وفي كل قلب شاعر عرف منزلتها عند العرب ، فقد أفرد الشعراء لها أماكن في مؤلفاتهم، ومن بين تلك القصائد نجد قصيدة "**أحزان في الأندلس**" التي تنضوي تحت" **غرض الرثاء** "

أولا-معناه اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور تعريف الرثاء كالآتي: "**رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته. وامرأة رثاءةٌ ورثاية: كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكرم عندها**" (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري،1997 ،ص 35)، وما يفهم من قول ابن منظور هو : أنَّ الرثاء عبارة عن غرض يتم فيه ذكر محاسن الميت بعد موته وتعيد خصاله . وفي المقام نفسه يتحدث بطرس البستاني: فقد ورد على لسانه " **رثى الحديث حفظه أو ذكره ورثاه أيضا نظم فيه شعرا ورثى عنه حديثا رثاية وحفظه ورثي الرجل يرثى كان به رثية**"، ويبدو أن البستاني قد ذهب في تعريفه للرثاء مذهب ابن منظور ، ومنه فالمعاجم اللغوية تجمع على أنَّ الرثاء عبارة عن البكاء على الميت بعد مماته، وذكر محاسنه. (بطرس البستاني، 1987، ص 323)

ثانيا _ معناه في الاصطلاح العام :

يشير مصطلح الرثاء كما جاء في المعنى اللغوي إلى البكاء على الميت، وذكر محاسنه، وهذا المعنى لا يبتعد عن معناه الاصطلاحي، فكلاهما يصب في الوعاء نفسه ، وفي هذا الصدد يقول عيسى إبراهيم السعدي: " **العديد من الشعراء كبيرهم وصغيرهم طرق هذا الباب، هذا اللون الحزين من شعر المواساة والكآبة، ولم يقتصر هذا الغرضعلى الرجال فقط بل تعداهم إلى النساء أيضا، وربما كانت النساء أحق به، لما**

فطرن عليه من رفق ولين وعاطفة الحزن والبكاء، والتأثر وان امتاز الرجال بالجلد، والصب، وتحمل الشدائد، والصبر على فقد البعض من أهلهم وذويهم، وأحبابهم" (عيسى إبراهيم السعدي، 2006، ص230). فالرثاء ترنيمة الحزن وموسيقى الأسى التي تنبض في قلب كل انسان فقد شيء عزيزا عليه، ولا يكون الرثاء لفقدان شخص عزيز بل قد يكون المفقود شيئا آخر، فقد يكون ملكا، أو جاها، أو وطنا عزيز كما سنلاحظه في هذه القصيدة .

الدراســــــــــــــة :

الاختيارات الأسلوبية :

لكل شاعر اختياراته التي تبع عن مدى صدق مشاعره، وأحاسيسه، فالأشعار ماهي إلا تجسيد حي لما يحسه الشاعر، وما يختلجه، يتفاعل فيه اللفظ مع المعنى في تناغم تام، وقد عرف مصطلح "**الاختيار**" بأنه "**اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوي إلى خطاب متميز بنفسه**"، ويضيف (بيير غيرو) بأنه "**مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل للتعبير التي تحددها طبيعة الشخص المتكلم، أو الكاتب، ومقاصده**" (عدنان بن ذريل، 1980، ص 37 ،38)_ فهل وفق نزار قباني في اختياراته يا ترى :

أولا الاختيارات الايقاعية

إنَّ الإيقاع:" **خاصية أساسية مشتركة في كلّ الفنون**"، (عز الدين إسماعيل، 1974، ص117) ومن بينها الأدب،وقد عرف الباحثون الايقاع الشعري بأنه " **التّواتر المتتابع بين حالتي الصوت والصمت، أو النور والظلام، أو الحركة والسكون، أو القوة والضعف، أو الضغط واللين، أو القصر والطول، أو الإسراع والإبطاء، أو التوتر والاسترخاء، فهو يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر وبين الجزء والأجزاء الأخرى للأثر الفني أو الأدبي، ويكون ذلك في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي، أو الشكل الفني**" (مجدي وهبة، 1974، ص 481). وينقسم إلى نوعين هما :

1- **الايقاع الخارجي**: " فإذا كان الوزن هو الأساس الآلي للبيت ، فإنّ الإيقاع هو "**الأساس الذي ينبني عليه التعبير عن أفكار الشاعر بحرية تامة، وعلى هذا الأساس يعدّ أسمى من الوزن دائما، والشاعر العظيم هو الذي يتخذ من الوزن خادما طيّعا ،إذ يقوم بتوزيع الأنظمة الإيقاعية التيّ تظهر تفرّد شخصيته ، في حين يحافظ على التشكلات الوزنية**" (مجدي وهبة، 1974، ص 481)، والإيقاع في الشّعر خاصيّة جوهرية فيه وليس مفروضا عليه من الخارج، (سيد البحراوي، ص 8) وما نلمحه في قصيدة الشاعر هو تنويعه في الأوزان، والقوافي خدمة للغرض الذي ينشده الشاعر، فقد زاوج بين القوافي المقيدة، والمطلقة التي أخضعها لسياق القصيدة العام ، وهو بكاء

الأندلس؛ خصوصا وأنَّ القصيدة تنتمي الى شعر التفعيلة (الشعر الحر) الذي لا يتقيد فيه الشاعر بالوزن، والقافية بل تأتي حرة حرية مشاعره ، والقصيدة لا تقوم دون قافية ، فقديما قال صاحب العمدة" **الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء هي اللفظ والوزن والمعنى والقافية**" (ابن رشيق القيرواني، ص119،1963)، ومن أمثلة القوافي المقيدة قول قباني :

كتبتِ لي يا غاليه..
كتبتِ تسألينَ عن إسبانيه
عن طارقٍ، يفتحُ باسم الله دنيا ثانيه..
عن عقبة بن نافعٍ
يزرع شتلَ نخلةٍ..
في قلبِ كلِّ رابيه..
سألتِ عن أميرها معاويه..
عن السرايا الزاهيه

حيث نجد (اسبانية –ثانية – نافع – نخلة –– معاوية ...الخ) نهايات، أو قفلات مغلقة تعني نهاية وجود العرب في الأندلس، فالسائلة التي تسأل الشاعر عن حالة الأندلس، وعن حال أبطالها وهي تعلم النهاية التي أصابتهم، وما ألوا إليه وما تسأله إلا لتذكره بذلك الماضي، وتلك البطولات، فاختار الشاعر تللك القوافي لملاءمتها لجو القصيدة العام.

ونلمح اختياراته المفتوحة التي وردت في قوله

تحملُ من دمشقَ.. في ركابِها
لم يبق من ولاّدةٍ ومن حكايا حُبها..
تعيشُ –لا زالت– على

وهي القوافي المفتوحة التي تنتهي بمدود تخللت الأشطر التي تحوي في معظمها على القوافي المغلقة، فمثلت بذلك وقفات للتأوه، والتنفيس .خصوصا وأن الشاعر يشير في طياتها إلى الماضي البعيد الذي لم يعد له وجود اليوم، فالأندلس ذهبت وذهبت معها الأمجاد .

أما بالنسبة لحروف الروي فلم يغفلها الشاعر بل اهتم بها –فبالإضافة إلى تناسقها، وانسجامها –فقد جاءت في أغلبها مهموسة مثل (غاليه– اسبانيه– ثانيه– ركابها– حبها) مما يدل على شدة الألم الذي يعتري نفسية الشاعر، فالأصوات المهموسة التي توحي بالشوق، و الحنين ساهمت في إضفاء مسحة الحزن على القصيدة ، وهذ إن دل على شيء فإنما يدل على إجادة الشاعر لسبك بناء قصيدته لفظا، ومعنى .

الايقاع الداخلي :

إنَّ "**الإيقاع الداخلي يؤدي دوراً هاماً في تعميق الإيقاع النفسي، وفي خلق نغمات وإيقاعات أخرى تتوازى مع الإيقاع الخارجي للقصيدة**" وقصيدة :"**أحزان في الاندلس**" جمعت من المعاني الشيء الكثير ما جعلها لوحة متنوعة الصور والألوان :

ـ الاختيارات الصوتية:يعد الصوت قلب اللغة، ومحركها، وتمثلها، وتمظهرها الشيء الذي جعله ينال حيزا كبيرا من الدراسة، والبحث بين أوساط الباحثين لذا كان لزاما علينا أن نبدأ بهذا الجانب لأهميته بالدرجة الأولى، ولكونه منطلقا للمستويات الأخرى في المقام الثاني ، ولعل إطلالة خاطفة على قصيدة **نزار قباني** تجعلنا ندرك أن اختياراته الصوتية جاءت في محلها، ويمكن تمثيل تواترها كالآتي:

الصوت :	تواتره:
الكاف	13
القاف	20
اللام	66
الباء	25
الهمزة	19
الميم	34
العين	10
السين	11
الهاء	6
الراء	32

فالقصيدة قيلت في مقام بكاء ورثاء، و لا يناسب هذا الغرض إلا الأصوات التي تحمل شحنا عاطفية حزينة فـ(**السين**) صوت تنفيس صبغ القصيدة بلمحة من الحزن، والأسى، و(**اللام**) صوت انحرافي عكس، وبكل صدف انحراف الوضع، وتغيره، وما صاحبه من انحراف على مستوى المشاعر والأحاسيس، فلم تعد الأندلس جنة عربية بل أحاطت بها اليد الأعجمية وطوقتها من كل جانب، و(**الراء**) صوت تكراري كرر الشاعر من خلاله أساه لفقدان الأندلس، و(**القاف والكاف والهمزة**)أصوات انفجارية قوية صورت مرارة فقدان البلد العزيز بلد الأمجاد، والحضارة .

الاختيارات التركيبية وقعت اختيارات الشاعر على الجمل الفعلية التي تدل على الحركة، والتجدد، فتجدد مشاعره نحو الأندلس مستمرة ، وسيظل يتغنى بمجد العرب في الأندلس، ويبكي فراقها بدموع من نار أما الجمل الاسمية، فقد جاءت داعمة لها تدل على الثبات ثبات الموقف من الأندلس، وقد وردت الجمل كالآتي :

الجمل الفعلية
كتبتِ لي يا غاليه..
كتبتِ تسألينَ عن إسبانيه
يزرع شتلَ نخلةٍ..
سألتِ عن أميةٍ..
سألتِ عن أميرها معاويه..
تحملُ من دمشقَ.. في ركابِها
لم يبقَ في إسبانيه
ما زال في سوادها ينامُ ليلُ الباديه..
لم يبقَ من قرطبةٍ
لم يبق من ولاّدةٍ ومن حكايا حُبها..
لم يبقَ من غرناطةٍ
تلقاك في كلِّ زاويه..
لم يبقَ إلا قصرُهم
تعيشُ –لا زالت– على
مضت قرونٌ خمسةٌ
ولم تزل أحقادنا الصغيره..
ولم تزل عقليةُ العشيره
ولا تزال لفظةُ العروبه..
نصلبُها على جدارِ الحقدِ والكراهيه..
مَضت قرونٌ خمسةُ.. يا غاليه

الجمل الاسمية

الجمل الاسمية
حوارُنا اليوميُّ بالخناجرِ..
أفكارُنا أشبهُ بالأظافرِ

التوازي التركيـــــــــــبي: هو تعادل، أو تماثل المباني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الازدواج الفني ، وقد عرف في أوساط الباحثين بقول أحدهم هو "**بمثابة متواليتين، أو متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات ايقاعية، وصوتية، أو معجمية**" (محمد كنوني،1997، ص 78)، وقد أردنا أن نشير الى هذه الظاهرة من باب أنها بلغت ذروتها الجمالية في هذه القصيدة، وأن الشاعر استعان بها في بناء قصيدته، ومن أمثلتها قول الشاعر :

حوارُنا اليوميُّ بالخناجرِ..
أفكارُنا أشبهُ بالأظافرِ

حوار	**نا**	**اليومي**	**بـــ**	**الخناجر**
أفكار	**نا**	**أشبه**	**بـــ**	**الأظافر**

فقد تطابق الشطران وانسجما انسجاما تاما، وفي قوله :

كزهرةٍ حزينةٍ في آنيه..
كطفلةٍ جائعةٍ وعاريه

الكاف	**زهرة**	**حزينة**	**في**	**آنية**
الكاف	**طفلة**	**جائعة**	**الواو**	**عارية**

فقد بنى الشاعر التوازي على التماثل القائم بين التركيبين السابقين، فخلق انسجاما، وتماسكا في وحدة النص .

ثالثا الاختيارات البلاغية:

لقد خيم على القصيدة جو من الحزن، والألم ما جعل الاستعارة، والتشبيه يتربعان على عرش الصور البيانية في النص :

أ- **الاستعـــــارة:** ومن أمثلتها قول الشاعر: " ما **زال في سوادها ينامُ ليلُ الباديه..**" ، فقد شبه الشاعر السواد، وهو شيء حسي يدرك بالحواس بالإنسان، فحذف المشبه به، وأبقى على المشبه على سبيل الاستعارة

المكنية، وفي قوله أيضا:" **سوى دموعُ المئذناتِ الباكيه**" ، فقد شبه المئذنات بالإنسان الذي يبكي، فحذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه، فكانت الاستعارة في صورتها المكنية تجسيدا للمعنى، وتأثيرا في المتلقي، فهي ألمع الصور البيانية.(امبريتو ايكو، تر احمد الصمعي ،2005،ص 233) فقد صدق ارسطو حين قال "**اعظم الأساليب حقا هو اسلوب الاستعارة هذا الاسلوب وحده لا يمكن أن يستفيد المرء من غيره وهو اية الموهبة فان احكام الاستعارة معناه البصر بوجوه التشابه** " (ارسطو طاليس، تر عياد شكري محمد ،ص 128)

ب- <u>التشبـــــــــيه</u>:لقد لعب التشبيه دورا هاما في رسم صور الشاعر ومن نماذجه:

(1)لم يبقَ إلا قصرُهم
كامرأةٍ من الرخام عاريه..
(2) أفكارُنا أشبهُ بالأظافرِ

(3)ولا تزال لفظةُ العروبه..
كزهرةٍ حزينةٍ في آنيه..

المثال	(1)	(2)	(3)
المشبه	قصرهم	أفكارنا	العروبة
المشبه به	امرأة من الرخام عارية	الأظافر	زهرة حزينة في آنية
الأداة	الكاف	أشبه	الكاف

خاتـــــــــــــمة

لقد أبدع نزار قباني في أشعاره، فكانت بحق قصيدته "**احزان في الاندلس**" مرآة صادقة عكست مشاعر الشاعر، وكل ما يختلجه، ولوحة فنية أبدع في وضع الألوان عليها ، وقد لعبت اختياراته الأسلوبية دورا هاما في تبليغ الرسالة التي سعى إلى توصيلها، فنوع فيها تنويعا نبع من شدة ألمه على فقدان الأندلس، وصور من خلالها إحساس كل انسان يفقد شيئا عزيزا عليه فكان اختيارات الشاعر في محلها .

ملحق:قصيدة" **أحزان في الأندلس**" نزار قباني

كتبتِ لي يا غاليه..

كتبتِ تسألينَ عن إسبانيه

عن طارقٍ، يفتحُ باسم الله دنيا ثانيه..

عن عقبة بن نافعٍ

يزرع شتلَ نخلةٍ..

في قلبِ كلِّ رابيه..

سألتِ عن أميةٍ..

سألتِ عن أميرها معاويه..

عن السرايا الزاهيه

تحملُ من دمشقَ.. في ركابِها

حضارةً وعافيه..

لم يبقَ في إسبانيه

منّا، ومن عصورنا الثمانيه

غيرُ الذي يبقى من الخمرِ،

بجوف الآنيه..

وأعينٍ كبيرةٍ.. كبيرةٍ

ما زال في سوادها ينامُ ليلُ الباديه..

لم يبقَ من قرطبةٍ

سوى دموعُ المئذناتِ الباكيه

سوى عبيرِ الورود، والنارنج والأضاليه..

لم يبق من ولاّدةٍ ومن حكايا حُبها..

قافيةٌ ولا بقايا قافيه..

لم يبقَ من غرناطةٍ

ومن بني الأحمر.. إلا ما يقول الراويه

وغيرُ "لا غالبَ إلا الله"

تلقاك في كلِّ زاويه..

لم يبقَ إلا قصرُهم

كامرأةٍ من الرخام عاريه..

تعيشُ –لا زالت– على

قصَّةِ حُبٍّ ماضيه..

مضت قرونٌ خمسةٌ

مذ رحلَ "الخليفةُ الصغيرُ" عن إسبانيه

ولم تزل أحقادنا الصغيره..

كما هي..

ولم تزل عقليةُ العشيره

في دمنا كما هي

حوارُنا اليوميُّ بالخناجرِ..

أفكارُنا أشبهُ بالأظافرِ

مَضت قرونٌ خمسةٌ

ولا تزال لفظةُ العروبه..

كزهرةٍ حزينةٍ في آنيه..

كطفلةٍ جائعةٍ وعاريه

نصلبُها على جدارِ الحقدِ والكراهيه..

مَضت قرونٌ خمسةٌ.. يا غاليه

كأننا.. نخرجُ هذا اليومَ من إسبانيه..

قائمة المصادر والمراجع:

1. ارسطو طاليس" **في الشعر**" تر عياد شكري محمد دار الكتاب العربي مصر
2. امبريتو ايكو "**السيميائية وفلسفة اللغة**"، تر احمد الصمعي ، المنظمة العربية للترجمة لبنان، ط 1 2005
3. بطرس البستاني ، "**محيط المحيط**"، ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د. ط)، 1987
4. سيد البحراوي "**الإيقاع في شعر السياب**" –مكتبة شرقيات – القاهرة– ط 1
5. عدنان بن ذريل، "**النص والأسلوبية، بين التطبيق والتنظير**"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980
6. عز الدين إسماعيل" **الأسس الجمالية في النقد العربي**"– دار الفكر العربي– مصر– 1974
7. عيسى إبراهيم السعدي"**جماليات الشعر العربي على مر العصور**"، ، دار المعتز، عمان، الأردن، ط (2) 230.
8. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري"–**لسان العرب**"، مج 3 ،دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ،1997 (1)
9. محمد الزينو سلوم ، "**أعمال الشاعر نزار قباني بين قوسي قزح دراسة الأعمال الشعرية الكاملة**" ، كتب عربية لطباعة والنشر ج 01
10. محمد كنوني" **التوازي ولغة الشعر**"، مجلة فكر ونقد ع 18 ط1997
11. مجدي وهبة" **معجم مصطلحات الأدب**" –مكتبة لبنان– بيروت–ط 1 1974
12. الموقع https://www.nizarqabbani.net/about